الباب الرابع

المجال الذهبي

قال الرحمن الرحيم سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ [آل عمران: ٩١].

كلمة (ذهبًا) ملفتة جدًا في هذا المقام..

فإن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ لن يستطيع أحدهم أن يأتِ يوم القيامة بملء الأرض "قشًا"..

فلماذا الذهب على وجه الخصوص؟!

دعونا في هذا الباب نتعلم أكثر من إشارات هذه اللفظة الربانية..

المجال الذهبي:

قال العليم الخبير سبحانه:

(يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون) الأعراف:٢٦

اعلم – أسعدني الله وإياك في الدارين – أن الله سبحانه وتعالى قد قال:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

الرزق في السماء.. وحتى يتضح هذا المعنى اللطيف إلى الأذهان لك أن تتصوَّر السماء عبارة عن لوح..!

وأن أرزاق الخلائق ومصائرهم عبارة عن بيانات مسجلة عليه..!..

هذه البيانات تظل مختزنة في هذا اللوح المحفوظ إلى أن يتم قراءتها..!..

فإذا قُرِأَت تحققت.

وانتقلت من عالَم الغيب لتتجلَّى في عالَم الشهادة..

تمامًا مثل البيانات المخزنة على الأقراص المُدمَجَة حيث تظل كما هي إلى أن يقرأها الحاسوب..

والمجال الذهبي هو الحاسوب الذي يستطيع قراءة بيانات هذا اللوح السماوي..

لأن المجال واللوح متصلان ببعض لتنفيذ البيانات بحروفها..

كما في السماء كما في الأرض...

وكلما كان الاتصال قويًّا كلما كان ارتفاع معدلات الرزق قويًّا..

وكان تدفق الخير والسعادة أقوى..

بلا قيود..

ألم تسمع قوله سبحانه:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

مَن يطلب مِن الله يرزقه الله بحكمته وبغير حساب..

فافهم هذا المعنى هدانا الله وإياك إلى الصراط الأقوم..

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [المائدة: ٦٦].

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

الرزق في السماء..

ولكي يحصل الإنسان عليه يجب أن يتناغم معه..

يجب أن تتناغم طاقة الإنسان مع طاقة الرزق..

وذلك لن يتم إلا عن طريق الأخلاق..

الأخلاقُ..

نسيجُ المجال الذهبي..

والمجال الذهبي هو سبيل حصول الإنسان على رزقه الذي في السماء..

ولكي يكون الإنسان مهيأ لاستقبال الرزق من السماوات والأرض بلا قيود وبغير حساب يجب أن يرتقي بأخلاقه وسلوكه..

لهذا كلما ارتقى الإنسان بأخلاقه وسلوكه كلما كان مهيأً لاستقبال الرزق..

وصار وهو في الأرض متناغمًا مع الرزق الذي في السماء..

يقول الرزاق سبحانه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٣، ١٤].

وإخلاص الدين لله هو قمة ارتقاء الأخلاق والسلوك البشري..

وهو أسمى الحالات البشرية..

التي عندها يتحول الشخص من إنسان عادي إلى إنسان ذهبي..

إنسان كالذهب..

خالد..

لا يَصدأ ولا يَتلف ولا يَفسد..

نسأل الله سبحانه التوفيق..

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢،٢٣].

الرزق في السماء..

ولكي تتناغم وأنت في الأرض مع رزقك الذي في السماء عليك أن تضبط ترددك العام مع تردد رزقك!

وللتوضيح إليك هذا المثال الذي نطبقه جميعًا..

عندما تريد سماع إذاعة معينة على الراديو، ماذا تفعل؟

تضبطه على الموجة الخاصة بها..

أليس كذلك؟

بلى !

رائع، إذا فسِّر لي كيف استطعت أن تستمع إلى إذاعتك المفضلة بوضوح وبدون تشويش في حين أن جميع المحطات الإذاعية تبث تردداتها إلى السماء في نفس الوقت؟!

الأمر بسيط كما قلنا، لأنك قمت بضبط جهازك عليها..

أو بمعنى أصح بضبط تردد جهازك (الراديو) على تردد الإذاعة التي تريدها..

حسنًا، دعنا ننتقل إلى مثال آخر هو التيفزيون..

فجميع القنوات التليفزيونية تبث تردداتها إلى السماء في نفس الوقت..

ولكنك لا تشاهد إلا القناة التي تريدها بضبط تردد جهاز استقبالك على ترددها..

ومثال ثالث هو شبكات الهاتف المحمول..

فكل شبكة تمثل مجالًا موجيًا في السماء يحمل جميع بيانات عملاء هذه الشبكة..

فإذا أردت الاتصال بصديقك من بين كل هؤلاء العملاء فما عليك سوى أن تضغط أرقام هاتفه لتضبط تردد هاتفك على تردد هاتفه فيحدث الاتصال بينكما..

وهكذا..

مما سبق نجد أن المجال الذهبي هو الجهاز – أو بمعنى أدق: الثوب – الذي يضبط به الإنسان ترددات الخاصة على ترددات الغِنَى المنتشرة في الكون..

فالرزق هو كل ما يُنتَفَعُ به..

وجميع ما يُنتَفَعُ به من الخيرات والبركات والنعم والعلوم والفيوضات والرحمات والتفضلات مرسلة من الرحمن الرحيم إلى جميع خلقه..

لا يقيدها شيء..

ولكن كلٌ يستقبل منها على قدره..

فالإرسال دائمًا ممتاز ولكن يتوقف الأمر على قوة استقبالك..

إن كل ما تريده بالفعل موجودٌ حولك..

وليس عليك سوى أن تجمعه...

تذكر هذا جيدًا..

قال الله سبحانه:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣].

والمتأمل لكلمات الله سبحانه يجد عجبًا..

فالتأكيد في (إنه لحق) عائدٌ على قوله (وفي السماء رزقكم)..

ولتقريب هذه الحقيقة المدهشة إلى العقول، وهي أن الرزق في السماء، جاء التشبيه الرباني لها في قوله تعالى (مثل ما أنكم تنطقون) !..

فلماذا جاء اللفظ القرآني (تنطقون) في هذا الموضع؟!..

لنجيب على هذا السؤال يجب علينا أن نراجع بعض المعلومات الأولية في الفيزياء..

فمن وجهة نظر علم الفيزياء، الصوت هو موجة..

والحروف الهجائية المنطوقة – وحتى المكتوبة أيضًا – لها ذبذبات..

وعملية النطق تتم على ثلاث ٣ مراحل:

١. إحداث الأصوات واندفاعها من فم المتكلم إلى أذن السامع..

٢. انتقال هذه الأصوات على شكل اهتزازات عبر الهواء (= ذبذبات) من الفم إلى الأذن..

٣. استقبال هذه الذبذبات من الهواء بواسطة الأذن..

وهذه المعلومات تنطبق تمامًا على الرزق، حيث:

١. خلق الله الأرزاق وجعلها محفوظة في السماء لتتنزل إلى الخلق..

٢. تتنزل هذه الأرزاق على شكل ذبذبات متصلة بين السماء والخلق..

٣. يستقبل الخلق هذه الذبذبات من السماء بواسطة المجال الذهبي..

وكما تستقبل الأذن الموجات الصوتية فيحولها العقل إلى معلومات مفهومة..

كذلك، فإن طاقة الإنسان تستقبل ما يناسبها من موجات الرزق وترددداته المنتشرة في الكون، ليحولها المجال الذهبي إلى معلومات مؤثرة في حياة الإنسان..

فيتجلى الرزق من مجرد ذبذبات في عالم الغيب، إلى معلومات مؤثرة في عالم الشهادة، ينتفع بها الإنسان، على قدر طاقته..

طاقته.. التي تنسج مجاله الذهبي..

ذلك..

والمجال الذهبي الذي تحدثنا عنه حتى وإن لم يُرى بالعين فآثاره هي التي تُرى بالعين..

تلك الآثار التي تتمثل في الغنى والفقر..

وهذا كله من آيات الله التي يجب أن نتفكر فيها ونعمل بها..

ومعرفة آيات الله واستعمالها يمنح الإنسان قوة شديدة تحقق له النصر دائمًا..

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [القصص: ٣٥].

وقال سبحانه:

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [يونس: ٩٥].

هذا..

وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا

يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٤٦،١٤٧].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٤].

وحسبنا الله ونعم الوكيل وإنا لله وإنا إليه راجعون..

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٩].

ذلك..

ولا ينبغي لمن سيخوض في هذا البحث من بعدي أن يفسر كل شيء في الدين بذلك المجال الذهبي..

أو ينسب كل أمر من أمور الشريعة إليه..

فهذا خطأ كبير كاد كاتب السطور الفقير أن يقع فيه..

لولا رحمة الله سبحانه وتعالى..

ومن فكر بهذه الطريقة كان كمن لا يرى شيئًا أبعد من أنفه..

فالمجال الذهبي الذي لا يعدو إلا أن يكون ثوبًا يرتديه الإنسان ليس هو الغاية أو النهاية..

وإنما هو فقط مجرد بداية..

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

وهذا البحث أهديه للناس..

كل الناس..

بلا استثناء..

﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٢٤].

فالله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

خلاصة الباب:

يكشف لنا هذا الباب بعضًا من آيات الله سبحانه في خلق الإنسان وفي تيسير أسباب الراحة والسعادة له.. وذلك استنباطًا من قول الخالق العليم سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف: ٢٦].. فهذه الآية الكريمة تبيِّن لنا نوعين من الثياب الخاصة بالبشر.. النوع الأول هو الثياب المادية، تلك الثياب التي تستر العورة، ويتزيَّن بها المرء بين الناس.. هذه هي ثياب البشر في عالم الكثائف.. عالم الكتلة والماديات.. أما في عالم اللطائف، وهو عالم الطاقة والذبذبات.. فثياب البشر تُنسَج من الأخلاق !.. ويكون تمامها على قدر تمام مكارم الأخلاق.. هذه هي الثياب الذهبية.. الثياب التي تهيء المرء لاستقبال رزقه من السماوات والأرض، وتجعله متصلًا بكل منابع الغنى الموجودة في الكون.. وهذه الثياب اللطيفة لا تُرى بالعين كالثياب المادية، وإنما آثارها هي التي تُرى بالعين.. آثارها التي تتمثل في حالة المرء من الغنى أو الفقر.. وكل ذلك من آيات الله سبحانه التي يجب أن يعيها الناس تمام الوعي، حتى يبصروا حقائق الأشياء، فيرتقوا بنفوسهم وسلوكهم غاية الارتقاء، ويبصروا تكريم الخالق سبحانه لهم، وتفضيلهم على غيرهم من المخلوقات، ورزقهم أطيب الأشياء وأفضلها، كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[الإسراء: ٧٠].